# الصفات المعنوية للإنسان الكامل

# (قراءة في المنظور القرآني وفلسفة الحداثة)


## أ.م. د. بشرى حنون محسن

## جامعة كربلاء/كلية العلوم الإسلامية



**الكلمات المفتاحية:** الصفات المعنوية، الإنسان الكامل، ، القران ، فلسفة الحداثة.

**الملخص:**

عرف الإنسان على أنه من أكثر المخلوقات حيرة وتعقيداً، وامتاز عن بقية الكائنات بفطرته وشخصيته المعنوية، و الغرائز الطبيعية والحيوانية والإحساس والمشاعر. فهو مفكر وذو إرادة، يُسخر عقله وجهده للبحث عن حلول للمعضلات التي تعترض طريقه من أجل حياة أفضل، ومن أجل الوصول إلى الكمال.

إنَّ معرفة صفات الانسان الكامل مسألة مهمة لا يمكن تجاوزها؛ لأنه بحكم المثال، وما ينبغي أن يحتذى به. ومن هنا اتصف بصفة الكمال الأنبياء ومَنْ اصطفاهم الباري عز وجل من خلقه، ونحن إن شئنا أن نصل إلى درجة الكمال، فعلينا معرفة الصفات المعنوية للإنسان الكامل، ومميزاته، كي نتمكن من صنع أنفسنا ، على شاكلته. ولمعرفة ذلك هناك طريقان : الطريق الأول هو القرآن وما جاء فيه من آيات تصف الإنسان الكامل، فالقران هو أول مصدر عرض الإنسان سواء في خلقه وبنائه، أو في المهمة المنوطة به، والغاية من وجوده، فالإنسان هو المخاطب بكلام الله عز وجل.

والطريق الثاني الذي رسم صورة للإنسان الكامل او الاعلى هم الفلاسفة والمفكرون والادباء؛ حيث كان العالم (الكون) وموقع الإنسان فيه هاجسهم منذ أقدم العصور وقد تنوعت الرؤى والأفكار حوله ، بل تناقضت وتضاربت ولعل هذا التناقض في الفكر هو وليد التناقض في الواقع الاجتماعي، و ثمرة لتوجيه وتغذية تيارات ومؤسسات فكرية، فبات الإنسان هو المحور الأساس الذي تدور حوله الفلسفات الحديثة والادب وكان لابد أن تتداخل جميعها من اجل تفسير كينونتهِ وإدراك كنهه، فقد تحول الانتباه بصورة كلية إلى الإنسان وتركزت جميع الجهود عليه، ومن هذا العرض نستطيع أن نتعرف الى الصفات المعنوية للإنسان الكامل في المنظور القرآني، وصفاته عند الفلاسفة والمفكرين والادباء، ونقاط الالتقاء والتقاطع بينهما.

**المقدمة:**

الحمد لله حمدا لا يصفه الواصفون، والصلاة والسلام على أبي الزهراء محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين. وبعد

منذ أن وجد الإنسان على الأرض، أخذت تتجاذبه نزعات متعددة ورؤى وتوجهات متباينة، يبحث فيها وعن طريقها عن الأمثل، فالأمثل؛ لأن ذلك أظهر عنده هاجساً أحاط به من كل جانب نتيجة ما شهده من تناقضات على أرض الواقع المعيش؛ و إدراكه أنه لا يمكن أن يكون قد خلق سدى لا هدف يرجوه ولا غاية يسعى للوصول إليها والعمل على تحقيقها، ومن هنا أخذ يبحث عن كل ما هو خالٍ من العيوب والتناقضات والصراعات التي لا تفضي إلاّ إلى الفساد والتحلل والظلم، ولكنه وجد أن هذا لا يتحقق إلا بوجود جملة أمور ذات أهمية قصوى لديه أولها وجود الطريق الكفيل بإنجاح ذلك، إذ إن البحث عنه سمة لازمة وجدلية لمسيرة الإنسان عبر التاريخ تتمثل

في البحث عن الكمال وجوهره، ومن ثم فقد ألف موضوع الإنسان الكامل أو الإنسان الأعلى ، تراثاً فكرياً وفلسفياً عميقاً في الحضارات الإنسانية إذ لا نجد حضارة إنسانية ضاربة جذورها في أعماق التاريخ إلا ونجد لهذا النوع أو هذا المسمى مكانه فيها سواء في سماته وخصاله أو في صورته المتخيلة لدى شعوب هذه الحضارات وشرائعها الدينية والدنيوية وثقافاته.

كل هذا، قادنا إلى البحث في أهمية هذه الصفات وأبعادها المرسومة في القرآن وفلسفة الحداثة، لأهميتها للإنسان أولا وللمجتمع والحياة ثانيا. لذا جاء هذا البحث ليقف عند نقطتين هما؛ مفهوم الإنسان الكامل في القرآن الكريم عن طريق الوقوف عند الآيات القرآنية التي رسمت ملامحه وصفاته ، ويليه مفهومه في فلسفة الحداثة التي القت بظلالها على الفن والادب ووضعت للإنسان مفاهيم تختلف من فلسفة لأخرى، مسلطين الضوء على الرؤية التي بينها كلا منهما للصفات المعنوية للإنسان الكامل .

## المبحث الأول: الإنسان الكامل في المنظور القرآني وصفاته المعنوية

القرآن الكريم ذلك الكتاب الذي نزل لبناء الإنسان الفرد المنسجم المتكامل، ولبناء المجتمع المتساند، والإنسانية المتحاورة المتسالمة المستشرفة للقيم العليا. هذا الكتاب جاء يهدي للتي هي أقوم. ولو وقفنا متأملين الآيات الكثيرة التي وردت فيه وهي تقف عند الفلسفة التربوية والتربية الروحية التي تخص الإنسان وتعنى ببنائه وتكامله، نلحظ أنها تؤلف منهجاً متكاملا لحياته منذ أن يتكون في بطن أمه إلى أن تنتهي حياته على الأرض. فهي تضم مناحي الإنسان جميعاً، ولا تؤثر ناحية على ناحية أخرى، أو جانب على جانب مما يدخل تحت مفهوم الإنسان سواء في شكله الخارجي أو في صفاته المعنوية التي تميزه من سائر المخلوقات .وتعنى به في كل مرافق حياته، وتنمي لديه العلاقات التي تربطه بالآخرين، وهذا يحقق له التكامل والتوازن في شخصيته ومن ثم تحقق النموذج الإنساني الذي أراده الله على الأرض. وذلك من خلال إعداد الشخصية المتكاملة الموحدة لله، والمؤمنة به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، مع التمسك بأركان الإسلام والسلوك بما يتلائم معهما. ثم في تربية الإنسان العابد بأبعاده الجسمية والروحية والخلقية والنفسية المختلفة، لأن الطبيعة الإنسانية في نظر القرآن الكريم تشمل هذه الأبعاد جميعاً فالتربية القرآنية تقوم على أساس الواقع المادي والروحي للإنسان من دون الاقتصار على جانب واحد فقط دون غيره من الجوانب الأخرى [1]

إذا التفت الإنسان إلى حقيقته وبعده الإنساني وعرف نفسه حقَّ المعرفة سيّدرك أنَّه أتى من عالَم الكمال، عالَم القدرة والعلم والمعرفة والرحمة والإحسان والخير والعدالة، وأنَّه لا بدّ من أن يسعى إلى الكمال، وأن يكون هدفه هو الوصول إلى مقام القرب الإلهيّ، حتى يتلاءم مع ذلك العالَمِ الذي أتى منه، والقيم الأخلاقيّة والإنسانيّة هي تلك الكمالات التي تحتاجها النفس لبلوغ الكمال، والإنسان يستطيع أن يدرك تلك القيم والفضائل بفطرته.

وقد جاء هذا المعنى في عدد من سور القرآن الكريم التي عبرت عن النوع البشري الذي تستقر فيه صفات الكمال، فقد أخبر الله الملائكة عن خلق الكائن الذي سيعمر الأرض، وأعلمهم بصفاته وعما قد يفعله هذا المخلوق الوسيط بين الحقِّ والخَلْق، وهذا هو الدور نفسُه الذي من أجله خُلِق آدمُ((**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُون وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاء إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**))[2] وإذا عدنا إلى الآية الكريمة وتفحصنا ألفاظها ووقفنا عندها بشيء من التمعن نجد لفظة (**خَلِيفَةً**) التي تعني :"من استخلف مكان من قبله، ويقوم مقامه"[3] فحقيقة الخلافة هي قيام شيء مقام الآخر أو هي قيام الـ (غير) مقام غيره ومن هنا كان لابد من وجود صفات يضعها المستخلِف وهو الباري عز وجل في المستخلَف وهو الإنسان؛ وأول هذه الصفات كما نصت عليها الآية المباركة هي (العلم) حيث علمه الله تعالى الأسماء كلها، أي أنه كان كائنا عاقلا عارفا بكل المسميات عندما وجِد على الأرض أو عندما خلقه الباري عز وجل، وذلك دليل على أن بدء وجود الإنسان على الأرض، كائنا عاقلا ذا إرادة وعزم كاملين.

وبذلك يمكننا القول : إن الإنسان بهذه الصورة له ميزة تفضيلية وهي العلم و المعرفة وهو وحده القادر على شَغْلِ وظيفةِ خليفةِ اللهِ أو مُمَثِّلِه من دون خلقه، فالملائكة لا تعلم و لكن الإنسان كان يعلم أي انه متفوق عليها بذلك، بل ومكلفا من الله سبحانه وتعالى:((**قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**))[4] إن نزول البشر إلى الأرض، وإعلامهم بأن الله تعالى سيرسل إليهم رسلا، فمن اتبع الرسل فقد رضي الله عنه فلا يخاف ولا يحزن و من كفر فإن له عذاب جنهم خالدا فيها. وفي هذا كله إشارة إلى أن القران أجاب عن كل ما يخطر ببال الإنسان من تساؤلات يمكن أن تُرَبَّى الفرد المسلم تربية إسلامية عقائدية روحية تؤدي به إلى الارتباط بالخالق، والسعي إلى تحقيق الهدف الأسمى من الخلق، وهو عبادة الله تعالى .

ولم يكن خلق الإنسان وتكامله من الوجهة النفسية والروحية موضع الاهتمام الوحيد في النص القرآني وإنما نراه في مواضع أخرى يتحدث عن خلق الإنسان في أفضل شكل وصفات فالإنسان ابعد من ان يكون مجرد شهوة أو مخاوف[5]؛ وهذا ما تعبر عنه الآية الكريمة:((**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**))[6]،فهذه الآية تتحدث عن الشكل الخارجي للإنسان وتشير إلى إتقان الصنع ودقة الإحكام وتناسق الأجزاء من قِبل الخالق العظيم سبحانه وتعالى، لكنها في الوقت نفسه تشير إلى مكانة هذا الشكل الخارجي في نشأة الدنيا ((**ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ**))[7] ومن هنا كان عليه أن يسعى ليتبين الطريق الأسمى والهدف الصحيح في أن يصعد من الأسفل إلى الأعلى معنويا لا ماديا ،وذلك بالوقوف عند كل ما من شأنه أن يوصله إلى الكمال ،وهو قرب مكانته عند الله عز وجل ويتضح ذلك من خلال معرفة الإنسان ووعيه بان حركاته يجب أن تخرج من دائرة (الأنا) إلى دائرة (الله) ((**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ**))[8] فشأن العبد هو الفقر والعجز والحاجة والجهل في مقابل التذلل والعبودية والطاعة التي هي

سبيل هذا المخلوق إلى الارتفاع من مكانة العاجز إلى مكانة القوي بالله وبمقدار قربه وعبوديته وطاعته لله تعالى ترتفع مكانته؛ وهذا ما تصرح به الآية الكريمة في حق نبي الله إدريس(عليه السلام) :((**وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً**))[9]إذ المراد من الآية الكريمة ليس هو الارتفاع المكاني؛ بل الارتفاع المعنوي من خلال ارتفاع مكانته عند الله عز وجل[10]وعلى ذلك فان المهمة الاساسية للقران الكريم تتجلى في مهمتين في ان واحد مهمة تعليمية تثقيفية ومهمة اخلاقية تربوية وكلا المهمتين فهو كتاب يمتاز بخصيصة التغيير للوصول بالإنسان الى الذروة والكمال[11].

ويبين القرآن الكريم في موقف آخر هو علاقة الإنسان بما حوله، وأن الكون بكل ما فيه من عالم المادة مسخر للإنسان ، لأجله خُلقت هذه الأشياء جميعها؛ وهذا ما تصرح به الآية الكريمة من قوله تعالى:((**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ**))[12]. وفي موضع آخر أكد ذلك بقوله عز وجل: ((**وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**))[13].

كما بين الله تعالى في آيات كثيرة أنه فضّل الإنسان وكرمّه على سائر المخلوقات، وميّزه عليها، فجعله قادراً على التمييز بين الخير والشر، ووهبه القدرة على التعلم والمعرفة وهذا ما يفضّله ويميّزه عن جميع المخلوقات ، كما في قوله تعالى:((**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**))[14]. إنَّ الذي يجعل الإنسان إنساناً ويميّزه من سائر المخلوقات الأخرى هو بعده الإنسانيّ وروحه الملكوتيّة المجرَّدة، وهذا الجانب بالذات هو مورد التكريم الإلهيّ والتفضيل، ففي هذا المورد قال تعالى متحدثا عن البعد الإنساني: ((**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا* قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**))[15] في إشارة منه إلى النفس الإنسانية وليس المقصود" مطلق النفس سواء كان نباتا أو حيوانا أو إنسانا، بل الإنسان وهو المكلّف الذي يترتب على عمله الثواب والعقاب"[16]هذه النظرة إلى الإنسان تُربي فيه الإحساس بالمسؤولية على تحمل المهام العظيمة التي أناطها الله به بكرامة وعزة نفس، وإخلاص في العبادة، وجدٍّ في السعي والعمل، وبهذا يعرف الإنسان قيمته في الحياة، ودوره في أعمارها، ومسؤوليته في استخلافه فيها، ذلك انه يدرك إنما خلق هذا العالم بكل إمكاناته من أجل الإنسان الكامل؛ وفي هذا إشارة كبيرة إلى عظمة النفس وتميزها وتفردها؛ فإذا ما أدرك الإنسان ذلك فانه حتما سيسعى إلى أن يتقدم، وتزداد معارفه وتُسخّر الحياة لسعادته وأمنه واستقراره، فجوهر الإنسان إذن لا يمكن فهمه إلا من خلال معرفة الإنسان نفسه وما خلق فيها الباري سبحانه وتعالى من صفات ومؤهلات تميزها من غيرها، ومن خلال تهيأتها لكل ما تحتاج إليه من سبل ووسائل للوصول إلى الكمال من خلال العقل أولا ،والفطرة السليمة ثانيا فضلا عن وجود القدوة والأسوة المتمثلة بالأنبياء والرسل ثالثا.

ثم بعد ذلك تتحدث الآية المباركة عن فلاح هذه النفس من خلال حثها وسعيها للتخلق بالأخلاق الحسنة والطيبة؛ ومن هنا فقد جاء الأنبياء(عليهم السلام) لإيقاظ الفطرة وتعريف الناس بحقيقتهم، وإرشادهم إلى طريق المعرفة والفضائل والمكارم الأخلاقيّة، من أجل إعانتهم على طيّ مدارج الكمال ونيل مقام القرب الإلهيّ الذي به تتحقق أعلى مراتب الكمال الإنساني التي تتمثل في معرفة الإنسان بنفسه ومتى ما عرفها أدرك معرفة خالقه عز

وجل، وهذا هو الهدف الحقيقي للخلق ولبعث الانبياء من اجل خلق مجتمع انساني قائم على الصلاح والاصلاح. وبذلك نلحظ في آيات سورة الشمس اهتمامها الملحوظ وتأكيدها على نظرتها لكمال الإنسان عندما أشارت إلى أن هذا العالم بكل ما فيه من ظواهر مادية إنما خُلقت لخدمته أو لنقل لأجله؛ وانه خُلِق لغاية أسمى ألا وهي الأخلاق السامية والحسنة التي يسعى للتخلق بها **((قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا))**[17] وبذلك يتسامى ويتكامل في مسيرته نحو الباري وعبوديته.

والإنسان مدرك تمام الإدراك لمكانته المتميزة بين المخلوقات، ولكنه مع هذه المكانة مدعوّ للبحث للوصول الى الحقيقة واليقين، فقد حث القرآن الكريم على التساؤل والنظر، وهذا ما فهمه النبي إبراهيم(عليه السلام) عندما سأل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ؛ وهذا ما يوضحه قوله تعالى:**((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنْ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ))**[18] [13]. ويصف القرآن الكريم النوع الإنساني المتكامل من خلال الكشف عن هذه الجدلية بين الإنسان والدين، والتي هي علاقة دائبة نحو المطلق، ونحو استشراف المستقبل الإنساني وايجاد طريق معنوي معبد للسير الى الله. وخطاب القران يدعو الى السلام والاخوة والايمان وخلق لمجتمع متعارف ومنسجم في بوتقة التآلف والمحبة والإخاء .

## المبحث الثاني : الإنسان الكامل في فلسفة الحداثة وصفاته المعنوية

لعل الإنسان مثل لغزا من أكثر الألغاز استغلاقا على العقول منذ القدم، ولا يقتصر ذلك على مرحلة ما بعد سقراط الذي صرف الفلاسفة عن البحث في الكون و وجههم إلى البحث في الإنسان.

وقد انتهت العصور الحديثة بالبشرية إلى وضع حواجز سميكة بين المادية والمعنوية، وبذلك مزقت الإنسان من داخله، ثم مزقت الإنسانية الكبيرة أيضاً، وكما انقسم الأفراد إلى روحيين يخضعون لفلسفة الرهبنة والانسلاخ عن العالم الموضوعي، وماديين لا يؤمنون بالروح ولا بالدين، بل يفسرون الحياة والإنسان تفسيرًا اقتصادياً ومادّياً فلا يرى الإنسان من نفسه إلا جسدا قذرا شهوانيا لا هدف له ولا غاية، فيقبل على ملذاته كالبهائم حتى يقضي على نفسه بإذلالها كما هو حال الماديين (الماركسيين) الذين لم يروا في الإنسان أكثر من آلة. أو أن تطغى على فكره الحقيقة الثانية فتؤدي به إلى التكبر والتأله كما هو الحال عند الوجوديين[19]

كذلك انقسمت البشرية في مجموعها إلى ماديين لا دينيين وعلمانيين يحصرون الدين في العلاقة الخاصة بين الله والإنسان. وإذا كانت مراتب الوجود المختلفة تمثل حجبا متراكمة على الحقيقة الإلهية الباطنة ، فقد اجتمعت هذه الحجب في الإنسان وجهة الظاهرة ، كما اجتمعت فيه حقائق الألوهية من حيث باطنه . وعلى الإنسان وحده تقع مهمة حل هذا التعارض بين ظاهره وباطنه وصولا إلى المعرفة الحقة وتحقيقا للهدف النهائي من وجوده ، وهو

معرفة الله المغايرة لمعرفته بذاته . وبهذه المعرفة الحادثة الغيرية تكتمل للحقيقة الإلهية كل مراتب المعرفة (القديمة والحادثة) ، كما اكتملت دائرة الوجود بالإنسان[20]

بعد أن فشل التفكير الطبيعي في تحقيق غايته النظرية ، حدثت انتقالة فكرية ثورية نقلت معها التفكير الفلسفي من الطبيعة إلى الإنسان، هذه الثورة كانت على يد السوفسطائيين وسقراط ، إلا أن الجانب الأول غالى في التجرد الفكري من الطبيعة وافرطَ في اهتمامه بالإنسان إذ شك في وجود الله وصرح بهذا الشك بحجة عدم وجود ما يثبت الآلهة ! لقصر العمر وصعوبة البحث عنها ، الأمر الذي أدى إلى فساد المجتمع خلقياً فضلاً عن فساده في النواحي الاجتماعية الأخرى[21] ، كل ذلك كان سبباً في حدوث ثورة أخرى تنشق من بين صفوف المفكرين الذين وجهوا الفلسفة نحو الإنسان ، وعلى يد سقراط الذي جعل من التعرف على النفس أول مبادئ الأخلاق ، فنادى بالمبدأ الأخلاقي القائل " اعرف نفسك بنفسك" .

وقد وجد أفلاطون أن الفلسفة الحقيقية هي الطريق الأمثل ، لتوضيح العدالة الاجتماعية والفردية [22] بعد أن فسدت العدالة على المستويين، ولتكوين نظرة فلسفية متكاملة أخذ يربو إلى الفكر الطبيعي لينتقي منه ما يساعده على تكوين فلسفة جديدة تنتشل الإنسان فرداً ومجتمعاً مع الآخرين من فشل المصير النهائي، ولعل أكثر الفلاسفة وقوفا عند فكرة الإنسان الأعلى كان نيتشه الذي اعلى من شأن الانسان ،وأعلنها حرباً ضروساً على فكرة الإله حتى لا تقوم قائمة من بعد لكل تلك القيم الميتافيزيقية التي اعتاد الناس أن يعدوا الإله ضامناً لها[23] ، فقد نظر إلى فكرة الآلوهية على أنها عقبة تحول دون تأكيد الإنسان لذاته ، وطالما أن فوق البشر آلهة يؤمنون بها ، فسوف يكون هذا الإيمان على حساب تقدير البشر لأنفسهم وثقتهم بها ، فمن الضروري إزاحة هذه العقبة لرفع شأنه ، حتى يصبح أسمى الكائنات جميعاً ،وظهوره الأعلى مرتبط بموت الإله ، ففكرة الإنسان الأعلى هي التي ستحل مكان فكرة الإله[24].لكن موت الإله وغياب الإنسان الأخير متلازمان : فالإنسان الأخير هو من يعلن موت الإله[25].يقول نيتشه :"من يريد الخلق والإبداع في الخير أو الشر، لابد أن يبدأ أولا بالإفناء وإهدار القيم"[26]

وقد عدت صرخة نيتشه المعلنة عن (موت الإله) اكبر صرخة في تاريخ الفكر الأوربي وأبعدها نظرا، بل هي أكثرها أثرا، فقد كان لها دور في نشأة اتجاهات سيكولوجية تعكس عودة الفكر الغربي إلى ثقافة الظلام _على عكس ما كانت عليه سيكولوجيات عصر الأنوار من حديث عن شفافية النفس البشرية ووضوحها وإمكانياتها لان ترى[27] . تكررت عبارة نيتشه (موت الإله) ووفق صيغ مختلفة [28]، يقول سارتر في تحليله لعبارة " موت الإله" :"إن الإله مات ! ولكن هذا لا يعني انه غير موجود أو انه لم يعد موجودا ، بل إن الإله قد مات ، بمعنى انه كان يحدثنا ثم صمت ، فلم نستطع الآن أن نلمس منه جثة هامدة : أن الإله قد مات ، ولكن هذا لا يعني بطبيعة الحال إن الإنسان قد أصبح ملحدا ، فان صمت المتعالي ، مضافا إليه استمرار قيام الحاجة الدينية لدى الإنسان الحديث ، إنما هو في صميمه مشكلة كبرى ، وهذه المشكلة التي ثارت بالأمس كما تثور اليوم ، إنما هي المشكلة التي لا زالت تؤرق نيتشه وهيدجر وياسبرز"[29]

لقد حاول نيتشه القضاء على الركيزة التي تعتمد عليها الأخلاق ، عندما قال بموت الإله . وهدف نيتشه من تدمير الأخلاق هو تحرير الإنسان وفك قيوده من أي تبعية ، لأي مبدأ متعال على وجوده [30] ففكر نيتشه كان في الاصل قائما على هدر وإفناء القيم ، وهو الذي دعاه إلى تحطيم النظم الأخلاقية القائمة كونها تمثل قيودا تمنع الإنسان من أن يحقق ذاته ومن ثم يكون بديلا للإله الذي أعلن موته، وكأن نيتشه يرى أن هناك حربا دائرة بين الاله والانسان، والنتيجة حسمت للإنسان فقد اعلن موت الاله وبقاء الانسان بديلا عنه ولربما اكثر تفوقا منه، وهذه واحدة من اهم الافكار التي اعلن عنها نيتشه وتأثرت بها الفلسفات التي جاءت بعده.

أما بالنسبة للإنسان ،فيراه نيتشه جملة من الغرائز الحيوانية ، وفي تطور دائم نحو ألوهية أرضية[31]. وبإعلان نيتشه موت الإله، فقد انهار لديه المطلق بصورة أساسية، فأصبح العلم إنسانيا ، والتاريخ إنسانيا فمنذ موت الإله لم تعد ثمة حقيقة إلا حقيقة الإنسان[32].وهناك من يرى ويرى نيتشه إن قيمة الإنسان الحالي هي في كونه وسيلة إلى خلق الإنسان الأعلى[33]. بمعنى أن دعوة نيتشه لخلق الإنسان الأعلى ما هي إلا أضغاث أحلام، فالإنسان عنده يحتاج إلى أن يمر بمراحل تطور ليصل ،وهي ذاتها نظرية التطور التي قال بها دارون التي استمد منها ماركس مادية الانسان واستمد منها فرويد حيوانية الانسان ، واستمد منها دوركايم حيوانية الانسان وماديته وجمع بينهما بنظرية العقل الجمعي[34]

وهذا الرأي عموما عارٍ عن الصحة وينافي الحقيقة فالأنبياء والأولياء وصل بعضهم إلى اعلى مراتب الكمال بمعنى أن كمال الإنسان لا يحتاج للمرور بمراحل تطور ،بل يحتاج الى إرادة وبحث مستمر في مضان الكمال. .ولعل دعوة نيتشه لموت الاله واعلانه لشأن الانسان، ما هي الا صرخة رفض وتمرد على بعض رجال الدين المسيحي الذين اعلنوا الوهيتهم الارضية ان تصريحا او تلميحا.

وتصف الوجودية الانسان "بانه يستطيع ان يصنع ذاته وكيانه بارادته ويتولى خلق اعماله وتحديد صفاته وماهيته، باختياره الحر دون ارتباط بخالق أو بقيم خارجة عن ارادته"[35]

أما برديائيف فقد "أحس باندفاع طبيعي نحو نيتشه ولمدة من الزمن ، ورأى أن نيتشه كان ضد الانسان اساسا في احتقاره للإنسان العادي Ordinary man. وبينما حطم ماركس الشخصية المجتمعية ، فإن نيتشه قتل الإنسان في فكرة " السوبرمان "، [....]الفكرة التي تعني ان نيتشه قد قفز بفكرته هذه من الإنسان الحقيقي إلى انسان اخر ذي صفات مثالية وإن ادعى ان السوبرمان ابن الأرض . وكما يعتقد بأن الديالكتيك الالهي – الإنسان عند نيتشه ادى به إلى اختفاء كل من "الله" و" الانسان " وراء شبح " الانسان الاعلى " الذي لا هو بالإنسان ولا هو بالله ""[36]، ويرى ابو زيد ان "الإنسان مساو للعالم ومساو لله ، ولكن هذه المساواة ، أو الموازاة ، لا تنفي التغاير بين الله والإنسان من جهة ، وبين العالم والإنسان من جهة أخرى. وإذا كان الإنسان هو روح العالم ، فمن الواجب علينا حين يوازي ابن عربي بين حقائق الألوهة وحقائق العالم أن نفهم العالم في هذه الموازاة على أساس أنه يتضمن الإنسان، لا على أساس خلوه منه، وعلينا أيضا أن نلاحظ أن الإنسان الذي يوازيه ابن عربي بالعالم من جهة،

وبحقائق الألوهة من جهة أخرى ، هو الإنسان ، الكامل الذي تمثلت فيه الصورتان الإلهية والكونية على التمام والكمال . وهو الإنسان الذي يعد آدم المجلى الأول له ، ويعد الرسل والأنبياء والعارفون الوارثون تجليات مختلفة لحقيقته الروحية"[37].

فيما يقول هيدجر:"أن إنسان العصر الحديث قد أصبح يعيش في حالة جماعية زائفة ،لأنه قد اتخذ من "الوجود مع الآخرين" ذريعة للتنازل عن وجوده الخاص ،فلم يعد وجوده سوى مجرد انغماس في عالم "الجمهور" .وهكذا فقد إنسان العصر الحديث إنسانيته وحريته ،وصار مجرد موضوع ينطق بلسان الآخرين، ويتحرك في مجال ذلك الوسط الاجتماعي الغفل! وهنا يتحدث هيدجر عن ضربين من الوجود البشري :فيفرق بين وجود حقيقي أصيل ووجود زائف غير مشروع ،على أساس التمييز بين ذات حرة تأخذ على عاتقها مسؤولية وجودها، وذات غريبة على ذاتها قد فقدت حريتها فأصبحت تحيا على حساب الآخرين"[38] و"الوجود الأصيل "في نظر هيدجر إنما هو ذلك الوجود الحقيقي الذي تشعر معه الذات بأنها قائمة بنفسها ،مسؤولة عن ذاتها ،وأنه قد خلى بينها وبين حريتها ،وأنه لا بد لها من أن تأخذ على عاتقها تبعة وجودها .وأما "الوجود الزائف" فهو ذلك الوجود العيني الذي تهبط فيه الذات بنفسها إلى مستوى الموضوع ،فتميل إلى الانغماس في المجموع، آملة من وراء ذلك التهرب من حريتها والتنصل من مسؤوليتها ،والتخلص من شعورها بالقلق[39]

وتتجلى تناقضات الحداثة بتناقضات النظريات الاجتماعية والسياسية التي انبثقت من رحمها، كالشيوعية والنازية العنصرية والليبرالية. فجميع هذه النظريات التي ترتبط بقيم الحداثة، العلمانية والعقلانية والنفعية، تدعي أنها تقوم على مناهج علمية، تلغي جميع المرجعيات الدينية والقيمية، وتنشد الطبيعة والإنسان بازدواجية متمزقة بين التقديس والتفكيك؛ بين تقديس العقلانية والطبيعة الجامدة وبين نزع القداسة عبر تفكيك الإنسان والطبيعة، فتفتح بذلك أفق "سديم العدمية والاستلاب"[40].

ويحاول أدونيس في كتابه (مقدمة للشعر العربي) أن يحاكي فلاسفة الغرب الراديكاليين بالهجوم على أخص خصوصيات الإيمان من خلال محاولة تقويض وهدم فكرة أو مفهوم الذات الإلهية في التصور الإسلامي زاعما أن قتل هذا المفهوم يطلق طاقات الإنسان: "الله في التصور الإسلامي التقليدي نقطة ثابتة، متعالية، منفصلة عن الإنسان. التصوف ذوب ثبات الألوهية، جعله حركة في النفس، في أغوارها. أزال الحاجز بينه وبين الإنسان. بهذا المعنى قتله (أي الله) وأعطى للإنسان طاقاته"[41] ، وما قاله ادونيس ان هو بفعل تأثير الفلسفة الغربية وأفكار نيتشه وغيره من فلاسفة العبث والفوضوية.

يظل البحث عن الكمال غاية يسعى إليها الجميع كل بطريقته وبحسب وجهة نظره ، فقد لا نتفق مع بعضنا في الطرق التي نسلكها من اجل الوصول لكن الغايات النبيلة لا تبرر الوسائل المعوجة للوصول اليها. ويبقى البحث عن الكمال هاجس انساني لا يتوقف عند حد معين فهي رحلة بحث كل منا يظنها في موضع او فكرة او ثقافة.

**الخاتمة**

في نهاية البحث وبعد ان استعرضنا ما جاء في القران من صفات للإنسان الكامل او المثال وما قاله الفلاسفة في هذا المضمار توصلنا الى عدد من النتائج :

- كل الأديان جعلت لوجود الإنسان غاية، وهدفا يسعى لبلوغه، وفيه يتحقق كماله المنشود، الذي يقضي عمره من اجل الوصول إلى أعلى درجاته.
- خلق الإنسان عاقلاً ومختاراً وحرّاً، وإنَّ عليه أن ينمِّي بُعدهُ الإنسانيّ لا الحيوانيّ، ويربِّي فيه القيم والفضائل الأخلاقيّة، حتى يصل إلى الكمال ، ويكون لائقاً بحمل الأمَّانة وخلافة الله على الأرض. وهذا ما دعا إليه الرسل والأنبياء، وبعض الفلاسفة.
- عدّ بعض الفلاسفة ان كمال الإنسان لا يتم إلا بموت الإله.
- نظر الفلاسفة إلى الجانب المادي للإنسان أكثر من الجانب الروحي، على العكس من القران الذي يدعو إلى الإنسان المتوازن بالروح والجسد.
- دعوة بعض الفلاسفة إلى القضاء على الركيزة التي تعتمد عليها الأخلاق ، عندما قالوا بموت الإله وهدفهم من تدمير الأخلاق هو تحرير الإنسان وفك قيوده من أي تبعية. وهذا الأمر ينافي الطرح القرآني الداعي إلى العناية بالقيم والأخلاق ويعدها الركيزة الحقيقية في تنظيم الحياة على الأرض.

**الهوامش :**

---

([1])أنظر الموقع الالكتروني:http://ejabat.google.com/ejabat/thread?tid=45acb3c7b76e11b

([2]) سورة البقرة : آية 30 _ 32.

([3])كتاب العين : 4/ 267.

([4]) سورة البقرة : الآيتين 38 – 39.

([5]) ينظر : في رحاب القران , اية الله السيد محمد تقي مدرسي ,دار محبي الحسين (عليه السلام) , ط1 ,1421هـ : 5.

([6]) سورة التين : 4.

([7])سورة التين : 5.

([8])سورة النساء : 79.

([9])سورة مريم : 57.

([10])يُنظر: التربية الروحية بحوث في جهاد النفس, السيد كمال الحيدري؛ دار فراقد، ط5 , 1423هـ – 2003م: 9.

([11]) ينظر: التربية القرآنية واثرها على الفرد والمجتمع , د. محب الدين عبد السبحان واعظ, كلية الدعوة واصول الدين , جامعة ام القرى , مكة المكرمة , 1427هـ : 9.

([12])سورة لقمان: 20.

([13]) سورة الجاثية : 13.

([14])سورة الإسراء: 70.

([15])سورة الشمس: 7_ 10.

([16])التربية الروحية بحوث في جهاد النفس: 47.

([17]) سورة الشمس: 9.

([18]) سورة البقرة : 260.

([19]) قد يظن القارئ لفكر الوجودية للوهلة الأولى أنها كرّمت الإنسان بجعله محور الوجود، وبقصرها للحقيقة على الإنسان وحده، بل على الفرد بحد ذاته، ولكن تطرف هذا الفكر عند سارتر وأتباعه قد أدى إلى النقيض، وذلك بانطلاق سارتر في فلسفته من منح الفرد حريته المطلقة، مما أدى به إلى الاعتراف بأن الوجود الإنساني ليس إلا مأساة، وأن حياته مجرد عبث تتصارع فيه الظروف القاسية مع الحرية التي لا تعترف بالقيود مما يؤدي إلى الصراع النفسي الذي عايشه كل الفلاسفة الوجوديين الأحرار وفاضت به آدابهم من أمثال سيمون دوبوفوار وأندريه جيد وفرانسواز ساغان

([20]) دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي د. نصر حامد أبو زيد , دار الوحدة: 154.

([21]) نظرية المعرفة والموقف الطبيعي للإنسان فؤاد زكريا ، القاهرة ، 1962 :141 0مذاهب ومفاهيم في الفلسفة وعلم الاجتماع ، عبد الرزاق مسلم الماجد ،ترجمة المؤلف ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، ب ت : 89 0

([22])أفلاطون جيروم غيث: ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ، 1970 : 16 0

([23]) مشكلة الانسان ، زكريا ابراهيم مكتبة مصر ، القاهرة 1959 : 195.

([24]) مشكلة الانسان : 197.

([25])الكلمات والاشياء، ميشيل فوكو ترجمة مطاع صفدي واخرون ، مركز الانماء القومي ،لبنان،1990 : 312 .

([26])نيتشة، د. عبد الرحمن بدوي, مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1939 : 161 .

([27])مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، محمد الشيخ ، ياسر الطائي , دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1996 : 152

([28])المعرفة والسلطة جيل دولوز، ، ترجمة سالم يفوت ، المركز الثقافي العربي ، ط1 – بيروت ، 1987: 144.

([29])مشكلة الانسان: 200 .

(*) ففي اسطورة التكوين البابلية مثلا يقتل الاله (كنغو) وفصد دمه ثم يمزج بالتراب لصنع الانسان ، فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى ، منشورات دار علاء الدين ، ط12 ، دمشق ، 2000 : 314

([30])الحرية والوجود: 168 .

([31])الحرية والوجود : 97.

([32]) المذاهب الوجودية : 56.

([33]) موسوعة الفلسفة , د.عبد الرحمن بدوي ، ج2: 515.

([34]) ينظر : الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة ,اشراف وتخطيط ومراجعة د. مانع بن حماد الجهني, مج1 مج 2,ط 3, دار الندوة العالمية 1418هـ ,الرياض: 938.

([35])الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة , مج1 ,مج2: 898.

([36]) الفلسفـــة عنـد نيقولا برديائيف د . نبيل رشاد سعيد جامعة بغداد ط 1– بغداد – 2006: 90– 91.

([37])دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي د. نصر حامد أبو زيد / دار الوحدة: 161.

([38])دراسات في الفلسفة المعاصرة , زكريا ابراهيم , دار مصر:412.

([39])دراسات في الفلسفة المعاصرة :432.

([40]) أزمة التنوير: عبد الرزاق عيد شرعنة الفوات الحضاري، دمشق الأهالي، 1997 : 187.

([41])مقدمة للشعر العربي، أدونيس : 131.

## المصادر والمراجع


- القران الكريم
- أزمة التنوير: عبد الرزاق عيد شرعنة الفوات الحضاري، دمشق الأهالي، 1997.
- إستراتيجية التسمية ، مطاع صفدي, دار الشؤون الثقافية العامة "افاق عربية " العراق،(ب،ت)
- أفلاطون ,جيروم غيث: ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ، 1970.
- التربية القرآنية واثرها على الفرد والمجتمع , د. محب الدين عبد السبحان واعظ, كلية الدعوة واصول الدين , جامعة ام القرى , مكة المكرمة , 1427هـ.
- دراسات في الفلسفة المعاصرة زكريا ابراهيم دار مصر.
- دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربيد. نصر حامد أبو زيد , دار الوحدة.
- الفلسفـــة عنـد نيقولا برديائيف د . نبيل رشاد سعيد جامعة بغداد ط 1.
- في رحاب القران , اية الله السيد محمد تقي مدرسي ,دار محبي الحسين (عليه السلام) , ط1 ,1421هـ.
- كتاب العين ,لابي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي(100- 175هـ), تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي, سلسلة المعاجم والفهارس.
- الكلمات والاشياء، ميشيل فوكو ترجمة مطاع صفدي واخرون ، مركز الانماء القومي ،لبنان،1990.
- مذاهب ومفاهيم في الفلسفة وعلم الاجتماع ، عبد الرزاق مسلم الماجد ،ترجمة المؤلف ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، بدون تاريخ 0
- مشكلة الانسان ، زكريا ابراهيم مكتبة مصر ، القاهرة 1959.

- المعرفة والسلطة جيل دولوز، ، ترجمة سالم يفوت ، المركز الثقافي العربي ، ط1 _بيروت ، 1987.

- مغامرة العقل الاولى ، فراس السواح منشورات دار علاء الدين ، ط12 ، دمشق ، 2000 م

- المفكرون من سقراط الى سارتر , هنري توماس ، و دانالي توماس ،. ترجمه عثمان نويه ، مكتبه الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1970 .

- مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، محمد الشيخ ، ياسر الطائي , دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1996.

- الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة ,اشراف وتخطيط ومراجعة د. مانع بن حماد الجهني, مج1 مج 2,ط 3, دار الندوة العالمية 1418هـ ,الرياض.

- نظرة على أصل الإنسان في الفلسفة الإسلامية ,سعد شاكر شبلي الحوار المتمدن-العدد: 3671 - 3 / 2012

- نظرية المعرفة والموقف الطبيعي للإنسان ,فؤاد زكريا ، القاهرة ، 1962

- نيتشة ، د. عبد الرحمن بدوي, مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1939.

- الموقع الالكتروني:http://ejabat.google.com/ejabat/thread?tid=45acb3c7b76e11b